الفصلُ الثاني
الحياةُ السياسيةُ والإداريةُ لمدينةِ مرو في العصرِ السلجوقي

١- الحياة السياسية

تمهيد:

لعب الأتراك السلاجقة دورًا هامًّا في التاريخ الإسلامي، فقد ظهروا في المسرح السياسي، والخلافة العباسية قد ضعفت، وانقسم بعض أملاكها إلى دويلات، وإمارات منتشرة بين أراضي الدولة العباسية، فبدأت الدولة السلجوقية بالقضاء على الدولة الغزنوية، وبدأت قوتها تنمو رويدًا رويدًا حتى نجحت في تأسيس إمبراطورية واسعة خلال عدد من عظماء سلاطينها، ثم بدأ يدب الضعف لهذه الدولة خاصة بعد وفاة السلطان ملكشاه[١]، بل يعتبر العلامة التي تدق في نعش هذه القوة الإسلامية عامة، والدولة السلجوقية خاصة.

وقوع مدينة مرو في يد السلاجقة

كان موت السلطان محمود الغزنوي[٢] بداية النهاية في سقوط الدولة الغزنوية مما أتيحت فرصة كبيرة للسلاجقة لإقامة إمبراطوريتهم، وقد بذل

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٩/ ٤٨٠.

(٢) هو محمود بن سبكتكين الغزنوي السلطان يمين الدولة أبو القاسم ابن الأمير ناصر الدولة أبي منصور فاتح الهند، وأحد كبار القادة، امتدت سلطنته من أقاصي الهند إلى نيسابور، وكانت عاصمته غزنة بين خراسان والهند، وفيها ولادته سنة ٣٦١هـ/ ٩٧١م، ووفاته ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م.

انظر المزيد في: الكامل في التاريخ ٩/ ١٣٩، وفيات الأعيان ٢/ ٨٤، تاريخ ابن خلدون ٤/ ٣٦٣، الجواهر المضيّة ٢/ ١٥٨، البداية والنهاية ٢/ ٢٧.

obeikandl.com

السلطان مسعود[١] مجهودات باهظة لإعادة الدماء والقوة لدولته، ولكن للأسف مع كثرة الحروب معهم أهلكت الدولة الغزنوية في شتى الأحوال.

وقعت وسقطت[٢] مدينة مرو سنة ٤٢٨هـ/ ١٠٣٧، على يد جغري بك، مما دفع الأهالي والفقهاء[٣] يطلبون الأمن والسلام من السلاجقة، فاستجاب لهم السلاجقة، وكان جغري بك يتصف باللباقة، وحسن السياسة، والفطنة، والحنكة في إدارة الأمور، فقام بمعاملة المدينة وأهلها معاملة طيبة[٤]، وإقامة الخطبة على منابرها[٥] في أول جمعة من شهر رجب[٦] سنة ٤٢٨هـ/ ١٠٣٧م باسم جغري بك، والدعاء له، ولقب نفسه بملك الملوك[٧]، وكانت مدينة مرو

(١) هو مسعود بن محمود سبكتكين من ملوك الدولة الغزنوية، ولد بغزنة بين خراسان والهند ونشأ في بيت سلطنة وجهاد وعدل، وولي أصبهان في أيام أبيه، وتوفي أبوه سنة ٤٢١هـ، وبويع لأخ له اسمه محمد بغزنة فأقبل مسعود يريدها فثار الجند على محمد وقيدوه وخلعوه ونادوا بشعار مسعود وكتبوا إليه بما فعلوا فدخل غزنة ٤٢٢هـ، وبايعه الناس وأتته رسل الملوك، ومات سنة ٤٣٢/ ١٠٤٠م.
انظر المزيد في: الكامل ٩/ ١٣٨-١٦٨، أخبار الدولة السلجوقية ١٣، تاريخ مختصر الدول ٣١٥-٣٢٠.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٩/ ٤٨٠.

(٣) الحسيني: زبدة التواريخ ٤٠.

(٤) الحسيني: أخبار السلجوقية ٨.

(٥) النويرى: نهاية الأرب في فنون الأدب ٢٦/ ٢٧٥، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٥م.

(٦) بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى ١٢٢-١٢٣، ترجمة أحمد السعيد سليمان، القاهرة، ١٩٩٦م.

(٧) عباس إقبال: الوزراة في عهد السلاجقة ٥٩، ترجمة أحمد كمال الدين حلمي، القاهرة، ١٩٨٤.

obeikandl.com

النقطة الأولى في تقوية وتدعيم كيان السلاجقة[١]، ودفعهم للتوسع.

أرسل السلطان مسعود ملك الغزنونيين قائده سوباشي[٢] لطرد السلاجقة من مدنية مرو[٣]، فلما وصلت هذه الأخبار لجغري بك أرسل أتباعه لأخذ رأي أهل مرو، فوجد ترحيبًا كبيرًا للسلاجقة فتمسك بهذه المدينة، ودارت المعارك الطاحنة بالقرب من باب سرخس، انتهت بهزيمة فادحة لقائد الغزنويين سوباشي في يوم الاثنين من شهر شعبان عام ٤٢٨ هـ.

ومن هنا قرر السلطان مسعود تجهيز جيوش كبيرة وضخمة لمحاربة جغري بك، وكلما استولى مسعود على مدينة أو بلدة اختفى[٤]جغري بك وجنوده، وظل هذا الوضع أكثر من سنتين، ثم عاد السلطان مسعود إلى هراة[٥]، بينما جغري بك يعد العدة للاستيلاء نهائيًا على مرو، فحارب أهل التمرد والعصيان الذين أغلقوا عليه الأبواب أكثر من سبعة شهور[٦]، ولكن بدهائه ومهارته وذكائه تمكن جغري بك من القضاء عليهم، وإحكام قبضته عليها.

أما في عهد طغرلبك فاستولى على نيسابور[٧]، وهي كرسي عرش السلطان مسعود، وطلب من أهلها أن يخطب له على المنابر بلقب السلطان الأعظم[٨]،

---

(١) محمد الخضري: تاريخ الأمم الإسلامية ٤١٦، القاهرة، ١٩٥٩م.

(٢) الحسيني: زبدة التواريخ ٤١.

(٣) الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية ٩.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٩/ ٤٨١.

(٥) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب ٢٦/ ٢٧٦.

(٦) الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية ١٠-١١.

(٧) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٥/ ٦، دار الكتب المصرية، ١٩٦٣م.

(٨) د/ أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدولة الإسلامية ٣١٤، دار المعارف، القاهرة ١٣٦٦هـ/ ١٩٦٩م.

openkandil.com

وما أن سقطت نيسابور حتى جهز[١] السلطان مسعود جيوشًا كبيرة لمحاربة طغرلبك، والقضاء عليه، فاتجه إلى خراسان بنفسه حتى وصل إلى منطقة دندانقان[٢]، فدارت المناوشات، وتدفق السلاجقة من جميع الجهات لتضييق وقطع الطريق عليه إلى غزنة[٣]؛ حتى لا يتم إرسال الإمدادات والمؤنة للغزنويين، وقام السلاجقة بتدمير كل الآبار[٤] على حوالي مائة ألف جندي أو أكثر من جنود الغزنويين، فوقعت معركة حامية وقوية بينهم استغرقت أكثر من ثلاثة[٥] أيام، وبالتحديد في شهر رمضان سنة ٤٣١هـ/ ١٠٣٩م[٦]، انتهت هذه المعركة بانتصار السلاجقة انتصارًا مهولًا، وتدمير وسحق الغزنويين.

وكانت هذه المعركة نهاية السيطرة الغزنوية على منطقة خراسان[٧]، وما وراء النهر، والعراق، والهجرة إلى بلاد الهند، والسند[٨] تاركين الساحة

---

(١) د/ سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية ١/ ٦٧-٦٨ القاهرة ١٩٩٩م.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٨/ ٢٥.

Michael Broome, A Hand Book of Islamic Coins, London, first published, 1985. P80

(٣) المقدسي: أحسن التقاسيم ٩٩.

(٤) الإدريسي: نزهة المشتاق ٤٧٦.

(٥) حسين أمين: تاريخ العراق الاقتصادي في العصر السلجوقي ٥٣، مطبعة الإرشاد، القاهرة ١٩٦٥م.

(٦) المقدسي: أحسن التقاسيم ١٠٠.

(٧) سيد معين: تاريخ إيران ١٠٧، البيهقي: تاريخ البيهقي ٦٨٨، أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٦٤، صلاح الدين خودا بخش: حضارة الإسلام ٥٧-٥٨، ترجمة على حسني الخربوطلي، بيروت ١٩٧١م، عصام الدين عبد الرءوف الفقي: بلاد الهند في العصر الإسلامي ٢٧، القاهرة ١٩٨٠م.

(٨) حسن أحمد محمود، وأحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي ٥٥٨، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٧٠م، حسين أمين: تاريخ العراق الاقتصادي في العصر السلجوقي ٥٣، عباس إقبال: الوزارة في عهد السلاجقة ٣٢، طه ندا: فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ١٥٣، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٥-١٩٧٦م، ابن غازي الأزدي: أخبار الدول المنقطعة ٢٦٤، المدينة المنورة ١٤٠٨هـ.

obeikandl.com

للسلاجقة بزعامة طغرلبك[١] مؤسس الدولة.

أيضًا كانت هذه المعركة الصفحة الأخيرة في غلق الصراع بين القوتين، فلم يعد الغزنوييون يفكرون -ولو للحظة- في مهاجمة السلاجقة[٢].

مدينة مرو والسلاجقة

كان طغرلبك يتطلع إلى تأسيس دولة قوية للسلاجقة، فكان يضع في ذهنه إرساء قواعد الدولة السلجوقية على عدة اعتبارات؛ منها: جمع الكلمة، وتوحيد الصفوف، وتكتيل القوى[٣]، فجمع أفراد أسرته حوله لتنفيذ وتحقيق أهدافه، فعين كل واحد منهم حاكمًا واليًا على ولاية من ولايات الدولة، فوق ذلك سمح لكل واحد منهم أن يتعمق ويفتح ما يستطيع فتحه من الأماكن والمناطق المجاورة[٤]، ويضم ما يفتحه إلى منطقة نفوذه، ووضع كل والٍ ملكًا على ولايته، وله الحرية المطلقة في حكمها[٥]، واتخذ طغرلبك مدينة الري[٦] عاصمة له، بينما اتخذ جغري بك أكبر إخوة طغرلبك مدينة مرو عاصمة لدولته، واختص بأكثر خراسان، واتخذ لقب ملك[٧].

---

(١) Reynold Nicholson, Ali Terory History of the Arab,Cambridge .p.264.1953 .

(٢) Corson: Ancient, Medieval and Modern Coins, Second Edition, London, 1970, p.485.

(٣) د/ عصام بعد الرءوف الفقي: الدول الإسلامية المستقلة في الشرق ١٥٧، دار الفكر العربي ١٩٨٧م، عبد النعيم حسنين: سلاجقة إيران والعراق ٣٢-٣٤، حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي ٥٥٩-٥٦٠، الراوندي: راحة الصدور ١٦٧.

(٤) طه ندا: تاريخ الحكم التركي ٤٢.

(٥) الراوندي: راحة الصدور ١٦٧.

(٦) طه ندا: تاريخ الحكم التركي ٤٢.

(٧) جوزجاني: طبقات ناصري ١/ ٢٥١، كابل ١٣٤٢هـ.

عندما دخل السلاجقة مدينة مرو كان يسودها حالة من النهب والسلب والفوضى[١] والاضطراب والعصيان، فكان من الواجب على السلاجقة القضاء بالقوة على كل الأشياء، فقام جغري بك بإعادة الهدوء، والاستقرار، وبث روح العدل، والأمن بين أهلها، والمحافظة على الأرواح، والممتلكات[٢] بكل الطرق، والأساليب.

ولما مات جغري بك[٣] سنة ٤٥٢ هـ/ ١٠٦٠م تقلد الحكم ابنه الأكبر ألب أرسلان، ثم ورث عمه السلطان طغرلبك ٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م الذي لم ينجب[٤] ولدًا يخلفه في إدارة البلاد، وكان طبيعيًّا أن تئول لألب أرسلان، وهذا بتشجيع وتؤيد من نظام الملك[٥].

وفي عهد السلطان ألب أرسلان اتسعت رقعة أراضي السلاجقة؛ فأصبحت مملكته تمتد من نهر جيحون حتى نهر دجلة[٦]، ويعتبر عصره هو العصر الذهبي للسلاجقة حيث استتب الأمن، وانتشر العدل بين الرعية، وقويت إدارة الدولة، ومدت رقعتها، ويتصف السلطان ألب أرسلان بالرحمة والإنصاف، فكان يتصدق كل سنة من جيبه بألف دينار على الفقراء

(١) الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية ٨.

(٢) الحسيني: زبدة التواريخ ٤٠.

(٣) أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٨، جوزجاني: طبقات ناصري ١/ ٢٥١، عباس إقبال: الوزارة في العصر السلجوقي ٥٩.

(٤) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر مجلد ٣ ت٥ ص٩٧٠، دار الكتاب اللبناني- بيروت ١٩٨٦م، عباس إقبال: الوزارة في العصر السلجوقي ٢٤.

(٥) أبو الفدا: المختصر ٢/ ١٨٠-١٨١.

(٦) Bernard Lweis,The World of Islam p .273

obeikandi.com

والمحتاجين[١] في مرو.

وعندما قرب الموت من ألب أرسلان جمع أهله، وطلبهم بالمبايعة لابنه ملكشاه، وأخذ العهد على إخوته، وأمرائه، وكبار رجال الدولة أن يرفعوا شأن ابنه ملكشاه من بعده، ثم أمر بالخطبة له في جميع بلاده، كذلك منح الضياع، والبلاد بين إخوته، وأولاده، وأقاربه، فكانت مدينة مرو من نصيب ابنه أرسلان شاه[٢].

نهج ملكشاه منهج أبيه في سياسته حيث شهدت أيامه توسعات في الأراضي السلجوقية، والعالم الإسلامي كله، غير أن هذه الدولة مرت بحركات شغب[٣] من الجند الذين قاموا بأعمال بها الحدة، والنهب، والسلب، والتمرد، والتخريب، والاعتداء على حرمة الأهالي، وسفك الدماء، وبذل ملكشاه كل طاقته في القضاء عليهم.

أعلن تكش أخو السلطان ملكشاه العصيان والتمرد عليه سنة ٤٧٣هـ/ ١٠٨٠م، وانضم عدد لا بأس به إليه، أي حوالي سبعة آلاف[٤] رجل من جند ملكشاه، كان قد أمر بتسريحهم من الخدمة، فازداد تكش قوة، واستولى على مرو وترمذ، ثم اتجه إلى نيسابور، فلما علم ملكشاه بهذا العمل

---

(١) الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية ٣٠.

(٢) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر ٣م/ ق٥، ٩٧٠-٩٧١، النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب ٢٦/ ٣١٠، عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام ٤٥، ترجمة محمد علاء الدين منصور ٤٥، دار الثقافة، القاهرة ١٩٨٩، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ١٠/ ٥٠، الحسيني: زبدة التواريخ ٥٥.

(٣) الحسيني: زبدة التواريخ ١٣٣، عبد الله رازي: تاريخ الكامل إيران ٢٠٠.

(٤) النويري: نهاية الأرب ٢٦/ ٣٢٢، الحسيني: زبدة التواريخ.

obeikandl.com

أسرع في دخولها قبل أن تقع في أيدي تكش، مما جعله يتحصن بترمذ، فحاصره السلطان بها، وضيق عليه الخناق والحصار حتى طلب من أخيه الأمان فأمنه، ثم عاد مرة ثانية في العصيان والتمرد فسجنه.

حلقت الدولة السلجوقية بعظمتها في عهد السلطان ملكشاه، ووزيره نظام الملك الذي نجح بكفاءته أن أصبحت الدولة السلجوقية من أكبر قوة في الشرق تعمل لها كل الأمم والشعوب حسابًا وتَخشى قوتها[١].

ثم دبت الخلافات في العلاقة بين السلطان ملكشاه، ووزيره لعدة أسباب؛ منها: سطوة تركان خاتون زوجة السلطان ملكشاه، حيث كان نظام الملك يفضل تولية العهد لبركياروق الابن الأكبر لملكشاه، بينماكان تركان خاتون تريد أن يتقلد العرش ابنها محمود الذي تجاوز الرابعة من عمره، مما زاد الكراهية بين الطرفين، ومحاولة إبعاده عن الوزارة بكل الوسائل والطرق[٢].

أيضًا من العوامل: أن نظام الملك يسند ويقلد ولايات الدولة السلجوقية إلى أبنائه، وأحفاده، ورجاله، وأتباعه، وكان بعضهم ينفرد بالحكم، ويتصرف في الأمور، وفقًا لإرادته معتمدًا على تأييد نظام الملك، وخير مثال لنا: أن عثمان ابن جمال الدين بن نظام الملك[٣] الذي تقلد ولاية مرو من قبل جده ابتعد كل البعد عن سياسة العدل، واستبد بأهلها، وعندما ثار نزاع بينه وبين قودن[٤] سحنة

(١) ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم ١٧ ترجمة محمد السعيد جمال الدين، الدوحة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، نظام الملك: سياست نامه ٧-٨، عبد الباقي عبد المجيد اليماني: إشارة التعيين في تراجم النحاة اللغويين ٨٥ السعودية ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

(٢) شرين عبد النعيم حسنين: نساء شهيرات في السياسة والأدب في العصر السلجوقي ٩، القاهرة ١٩٨٩م، عبد النعيم حسنين: دولة السلاجقة ٦٤-٦٥، يحيى الخشاب: حكايات فارسية ٥٠، القاهرة بدون تاريخ.

(٣) د/ عصام الدين عبد الرءوف الفقي: الدول الإسلامية المستقلة في الشرق ١٧١.

(٤) الأزدي: تاريخ الدولة المنقطعة ٣٠٢، ابن الصابئ: رسوم دار الخلافة ٢٠١، بغداد =

مرو المعين من طرف السلطان سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م، قبض عليه، وأودعه في السجن، ثم أطلق سراحه فقصد السلطان مستغيثًا، وشاكيًا، فغضب السلطان، وبعث إلى نظام الملك خطابًا شديدًا به الوعد، والوعيد، ويهدده بالعزل والسجن، وليخفف من سطوة أتباعه، فكان رد نظام الملك عليه ردًّا جافًّا[١]، والذي أنهى هذه الخلافات أن قتل نظام الملك على يد الطائفة الإسماعيلية[٢] عام ٤٨٥هـ/ ١٠٩٣م، ثم تابعه موت السلطان ملكشاه.

بموت ملكشاه بدأ يدق جرس الخطر للسلاجقة حيث انشغلوا إلى الصراع الداخلي بين الأبناء والأحفاد على أملاك السلطان ملكشاه مما يدل على التفكك، فقد كان تفكير هؤلاء الأمراء في أنفسهم دون النظر إلى مصلحة الرعية والدولة، وأخذ كل واحد منهم يسعى إلى تحقيق مجد لنفسه، وهو من عوامل انهيار هذه الدولة[٣].

كان أول النزاع على الملك بعد وفاة ملكشاه مباشرًا بين الأخوين محمود، وأمه تركان خاتون، وبركياروق[٤] الابن الأكبر لملكشاة، وقد استغل هذه

= ١٣٨٣هـ ١٩٦٤م، د. حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي ٥٨٧.

(١) عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام ٢٥٩، الوزارة في عهد السلاجقة ٣٩-٤٠، عبد النعيم حسنين: دولة السلاجقة ٦٥-٦٧، ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ٣٣٥-٣٣٦، السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ٤/ ٣٢٥، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر مجلد٣، قسم ٥، ص٩٩٠.

(٢) سيد مهدي معين: تاريخ إيران ١٠٩، إحسان عباس: عهد أزدشير ١٦٩ طهران ١٣٤٨هـ، صادق نشأت ومصطفى حجازي: صفحات عن إيران ٧٣، القاهرة ١٩٦٠.

(٣) محمد أحمد النسوي: سيرة منكبرتي ٦-٧، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٥٣م، حافظ أحمد حمدي: الشرق الإسلامي قبل الغزو المغولي ٣٨، دار الفكر العربي ٣٨، القاهرة ١٩٥٠م.

(٤) محمد أحمد النسوي: المصدر السابق ذكره ٦، حسين مؤنس: أطلس التاريخ الإسلامي =

obeikandl.com

الفرصة عمهم أرسلان أرغون حاكم همذان وساوه، فسار إلى نيسابور للاستيلاء عليها فلم يتم له تحقيق هذا الهدف لقوة المقاومة، فاتجه إلى مرو، ودار القتال مع أهلها فاضطر شحنتها الأمير قودن إلى تسليمها[١].

كما تمكن من وضع قبضته على بلخ، وترمذ، وخراسان، ثم أرسل إلى بركياروق للدخول في طاعته خاصة بعد أن ذكر له بأنه استولى على ملك مملكة[٢] جده جغري بك، فتظاهر بركياروق بالموافقة، بينما في فكره يخطط للتخلص، والقضاء عليه، فلذلك عين عمه الآخر الملك بوري برس ملكًا على خراسان، وضم إلى خدمته الأمير مسعود بن ماجر، وأمير خراسان التونتاش، وما أن جاء بورس برس إلى حدود خراسان حتى ثار عليه العساكر، ثم اجتمع على اختيار عماد الملك أبي القاسم بن نظام الملك وزيرًا له، ثم نشبت الحرب الطاحنة بينه وبين أخيه أرسلان أرغون، وتمكن من هزيمته، وفرار أرسلان إلى بلخ مهزومًا، وعادت مدينة مرو إلى بوري برس[٣]، وكذلك أكثر خراسان.

لكن أرغون لم يكتفِ بهذه الهزيمة فعاد مرة ثانية لمحاربة أخيه، وحشد الجند، وأعد العدة ونزل مدينة مرو، وحاصرها ثم سقطت عَنوة في يده، فقام بهدم سورها، وقتل عددًا كبيرًا من أهلها ثم دارت الدائرة على بوري برس حيث قتل في النهاية على يد أخيه أرسلان أرغون، ثم أخيرًا تمكن جنود بركياروق

= ٢٣٨، بالقاهرة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

(١) الحسيني: زبدة التواريخ ١٧٥-١٧٦،عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام ٢٧٦، براون: تاريخ الأدب في إيران ٣٧٨ ترجمة إبراهيم أمين الشواربي، مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.

(٢) الحسيني: زبدة التواريخ ١٧٦-١٧٧.

(٣) البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق ٢٣٧-٢٣٨.

obeikandl.com

من قتل عمه أرسلان أرغون في مدينة مرو[١] سنة ٤٩٠هـ/ ١٠٩٦م، وأصبحت الأمور في هدوء واستقرار لبركياروق، ولكن سرعان ما انقلبت بعد عدة شهور حيث نازعه أخوه محمد[٢] على أراضي السلطنة بتحريض من مؤيد الملك بن نظام الملك الذي شجعه على أخذ المملكة والسلطنة لنفسه دون أخيه الأكبر بركياروق، وقد أخذ تأييد الخليفة المستظهر العباسي[٣] على تقلده السلطنة بدلًا من أخيه، وبالفعل خطب له على منابر بغداد سنة ٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م، وأصبح هناك سلطانان[٤] للسلاجقة، كذلك لم يستطع بركياروق التصدي لأخيه ولا لتمرد وثورة الجند عليه[٥]، ويعتبر عصر بركياروق مسرحًا للفتن والحروب الداخلية طمعًا في السلطنة بين بركياروق ومحمد وسنجر، ولكثرة الحروب بينهم ضعفت قوة الدولة السلجوقية[٦]، ثم -سبحان الله تعالى- تم عقد اتفاق بينهم يقضي بتقسيم الدولة فيما بينهم سنة ٤٩٧هـ/ ١١٠٣م، وينص هذا الاتفاق على أن سنجر ملكًا على مدينة مرو وكل خراسان، ولقب بملك المشرق وذلك منذ سنة ٤٩٨هـ/ ١١٠٤م، وظل ملكًا عليها مدة اثنتين وعشرين سنة قبل اعتلاء السلطنة[٧].

تقلد محمد السلطنة[٨] بعد وفاة السلطان بركياروق سنة ٤٩٨هـ/ ١١٠٤م،

---

(١) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب ٢٦/ ٣٣٩.

(٢) ابن أسفنديار: تاريخ طبرستان ٣١٩، براون: تاريخ الأدب ٣٧٦-٣٧٧.

(٣) د/ عصام عبد الرءوف: الدول الإسلامية المستقلة ١٧٣.

(٤) ابن اسفنديار: تاريخ طبرستان ٣١٩، براون: تاريخ الأدب ٣٧٦- ٣٧٧.

(٥) د/ عصام عبد الرءوف الفقي: الدول الإسلامية المستقلة ١٧٣.

(٦) michael broome,Ahand book of Islamic coins p .85

(٧) دونالد ولبر: إيران ماضيها وحاضرها ٦١، عبد النعيم حسنين: سلاجقة إيران والعراق ١١١.

(٨) محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية ٢٦- القاهرة ١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م، عبد العظيم رضابي: تاريخ ده هزار ساله إيران ٣/ ٧٦.

obeikandi.com

لكنه وراء الأخطار لم يستطع الاحتفاظ بتماسك الدولة؛ حيث ازدادت قوة ونفوذ الإسماعيلية وخطرها[١]، ولم يدمْ حكمه حتى مات سنة ٥١١هـ/ ١١١٧م، وعادت المنازعات مرة أخرى على السلطنة مع العلم بأن السلطان محمدًا أمر بإعطاء ابنه محمود الذي يبلغ من العمر الرابعة عشر الحكم بموافقة الخليفة المستظهر بالله العباسي، بينما رفض عمه سنجر حاكم خراسان وما وراء النهر أن يكون تابعًا لسلطة ابن أخيه، بل فوق ذلك أعلن نفسه سلطانًا، فأصبح في الساحة سلطانان في وقت واحد[٢]؛ فصار في إيران والعراق قسمان منفصلان سلاجقة خراسان ويمثلهم السلطان سنجر، وسلاجقة العراق ويمثلهم السلطان محمود.

ثم أوقدت نار فتنة الحرب بينهم حتى انتصر سنجر[٣]، وأخذ المبايعة من الخليفة العباسي، ثم اكتسب ود وعطف ابن أخيه فعينه وليًّا لعهده، وبذلك انتهى الصراع والحروب على السلطنة.

وعندما استقر الهدوء للسلطان سنجر اتخذ مدينة مرو حاضرة له ولدولته وجعلها[٤] دارًا للحكم والسلطنة، فمنها تخرج الأوامر والقرارات السياسية وتعيين القادة والولاة، وقد بذل السلطان سنجر جهودًا لإعادة الاستقرار والتعمير والبناء بعد تعرضها للدمار والخراب، كذلك عمل على النهوض

(١) محمد أحمد النسوي: سيرة السلطان منكبرتي ٦، عبد الله رازي: تاريخ كامل إيران ٢٠٥، أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي ٨/ ١٠٥- القاهرة ١٩٨٣م.

(٢) عبد النعيم حسنين: سلاجقة إيران والعراق ١٠٨- ١٠٩، عصام عبد الرءوف الفقي: الدول الإسلامية المستقلة ١٧٣- ١٧٤، محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية ٢٧.

(٣) محمد أحمد النسوي: سيرة السلطان منكبرتي ٦، تاريخ كامل إيران لعبد الله رازي ٢٠٥- ٢٠٦.

(٤) أحمد كمال حلمي: السلاجقة في التاريخ والحضارة ٥٥، الكويت ١٩٧٥م، عبد النعيم حسنين: سلاجقة إيران والعراق ١١- ١١٢.

obeikandi.com

بكافة المرافق إلى جانب الاهتمام برجال العلم والعلماء، وحظيت هذه المدينة في عصره بأوج القمة والعظمة وقيل فيها الأشعار والنثر.

كان السلطان سنجر هو آخر سلاطين السلاجقة العظماء، فقد اعترف له جميع حكام السلاجقة بالزعامة والسلطنة، كما أشاد الخليفة العباسي بهذه المنزلة، ومن ثم زادت قوته وصارت له الكلمة العليا في السلطنة، كذلك استطاع أن يعيد إلى الدولة هيبتها ووحدتها؛ وبالتالي أعاد عصر السلاجقة الأقوياء(١).

وكانت معظم فترة سنجر فترة صراع، وكان النصر من نصيبه في بداية سلطنته، لكن كثرة الحروب التي خاض غمارها وتعدد ميادينها قد أوهنت قوته وكسرت شوكته؛ ومن ثم انتشرت الاضطرابات وأصبحت تحيط بالدولة وبالتحديد في أواخر حياته بسبب التهديدات من الخارج(٢) والتي برزت بثورة ملك خوارزم(٣) أتسز(٤) الذي أعلن التمرد والعصيان على السلطان سنجر؛ حينئذ أدرك السلطان خطورة الموقف، وخشي من خروج إقليم خوارزم من يده، فجهز جيشه وسار إلى إقليم خوارزم معلنًا الحرب على واليها أتسز عام ٥٣٣هـ/ ١١٣٨م وحدث الصدام بين الفريقين حتى وقعت الهزيمة بأتسز وقتل معه عدد كبير من أتباعه وتفرق الباقون(٥).

وكان من بين هؤلاء القتلى ابن أتسز، ثم خلع السلطان سنجر أتسز من

---

(١) عباس إقبال: الوزارة في عهد السلاجقة ٢٦٩، دونالد ولبر: إيران ماضيها وحاضرها ٦١.

(٢) دونالد ولبر: المرجع السابق ذكره ٦٢.

(٣) عبد النعيم حسنين: سلاجقة إيران والعراق ١١٥- ١١٦، دولة السلاجقة ١٠٠، فؤاد عبد المعطي الصياد: المغول في التاريخ ٢٦.

(٤) كلمة تركية ليس معه خيل أو جواد، انظر المزيد في: النجوم الزاهرة ٥/ ٨٩.

(٥) عطا ملك الجويني: تاريخ جهانكشاي ١/ ٢٥٨.

حكم خوارزم وعين بدلًا منه ابن أخيه غياث الدين سليمان بن محمد السلجوقي، وبعد أن ثبت نفوذه وطد كيانه في خوارزم، ثم عاد السلطان سنجر إلى عاصمته مرو، لكن أتسز لم يستسلم وعاد إلى خوارزم وطرد سليمان وأرسل إلى السلطان يطلب منه العفو ويدخل في طاعته[١].

أيضًا تعرض السلطان سنجر لهجوم من جماعة من كفار الأتراك القراخطائيين[٢] على مملكته بتحريض وتشجيع من أتسز، الذي أخذ يطمعهم في البلاد ويهون عليهم أمرها حتى يثأر من السلطان سنجر[٣] الذي هزمه وقتله ابنه.

وبسبب ذلك زاد تدمير ممتلكات السلاجقة مما انتشر الذعر والرعب بين الأهالي والاستنجاد بالسلطان، فأعد جيشًا كبيرًا للقضاء على تلك القبائل، واتجه إلى ما وراء النهر[٤] والتقى الجيشان في معركة قوية عنيفة عند قطوان التي تقع شمال سمرقند سنة ٥٣٦هـ/ ١١٤١م واقتتلا قتالًا مريرًا، وفيها هزم السلطان هزيمة منكرة، وفوق ذلك أسرت زوجته، مما وقعت بلاد ما وراء النهر في أيديهم[٥] أي: الخطائيين.

وتعتبر معركة قطوان النقطة الفاصلة بين عصرين لسنجر؛ عصر القوة

---

(١) د/ عبد النعيم حسنين: سلاجقة إيران ١١٦.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١/ ٢٦١، بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى ١٢٣ ترجمة أحمد السعيد سليمان، دونالد ولبر: إيران ماضيها وحاضرها ٦١- ٦٢.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ١١/ ٨١، براون: تاريخ الأدب في إيران ٣٨٤، النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب ٢٦/ ٣٨٥.

(٤) الراوندي: راحة الصدور ٢٦١.

(٥) الجوزجاني: طبقات ناصري مجلد ١ ص٢٦١، بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى ١٤١.

والغلبة وعصر الضعف والخذل والانهيار، مما هزت مكانة السلاجقة حيث كانت ضربة في ظهر البعير، ونشطت قوة الخطائيين، وصاروا يشكلون خطرًا يهدد كيان الدولة والسلطان سنجر أيضًا، ومما لا شك فيه أنها بداية النهاية لدولة السلاجقة.

كانت هزيمة معركة قطوان أطمعت الأعداء في السلطان سنجر وسلطنته، فاستغل أتسز[١] ضعف السلطان وازداد معاودة العصيان، فبينما كان السلطان سنجر مشغولا بمحاربة قبائل الخطائيين، هجم بقواته على مدينة مرو عاصمة السلطان[٢]، ودخلها بالسلاح وقتل أهلها ونقيبها بهاء الدين علي بن إسحاق الموسوي[٣]، وجلس على عرش السلطان سنجر ونهب وسلب أمواله وجواهره، بل قطع الخطبة له في المدينة وسائر خراسان، وأصبحت خراسان تحت قيادة أتسز حتى رجعت للسلطان في ٥٣٧هـ/ ١١٤٢م[٤].

فلما عرف السلطان بما بادر من أتسز أعد العدة على قتاله ومحاربته، فسار في قوة كبيرة فدخل أولًا خوارزم وحاصر قلعة هزاراسب، فاضطر أتسز إلى طلب العفو والصلح، إلى جانب تعهده برد كل ما أخذه من الأموال والجواهر من مدينة مرو دون أن يمسها[٥].

وبعد فترة وجيزة من الصلح عاد أتسز مرة ثانية للعصيان والخروج عن

---

(١) عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام ٢٨٥.

(٢) المقريزي: السلوك ج١ القسم١ ٣٧.

(٣) ابن فندق: لباب الأنساب والألقاب والأعقاب ج١ ٤٢٣ وج٢ ٥٧٦.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية ٢١٨/١٢، أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة في التاريخ والحضارة ٦٠- ٦١، الراوندي: راحة الصدور ٢٦٤- ٢٦٥.

(٥) البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق ٢٥٦، الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية ٩٥، زبدة التواريخ ١٨٩، براون: تاريخ الأدب في إيران ٣٨٥.

عطاء السلطان، وظلت الحروب بينهم سجالًا حتى في عام ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م انتهى هذا الاشتباك باعتراف السلطان لأتسز بولاية خوارزم، فكانت النواة الأولى للدولة الخوارزمية التي بدأت تظهر على المسرح السياسي، في نفس الوقت سقطت قوة السلاجقة(١).

ولا مفر من الاعتراف أن كثرة الحروب التي خاضها السلطان سنجر في شتى الميادين قد أضعفته وأفقدته السيطرة على أطراف الدولة؛ مما تهافت عليها الأعداء من الجهات المختلفة، فكان لظهور دولة الغور خطر جسيم على دولة السلاجقة.

وكانت هذه الدولة الغور تسيطر على جبال الغور ومدينة فيروزكوه بالقرب من غزنة ثم امتد نفوذها إلى هراة، وفعل ملكها علاء الدين حسين الغوري كل ما في وسعه بالتوسع ومد نفوذه على حساب الدولة السلجوقية؛ فقام بمحاصرة مدينة بلخ، فلما علم السلطان سنجر بذلك توجه بجيشه للقاء ملك الغور عام ٥٤٧هـ/ ١١٥٢م ووقعت الحرب بينهم، وانتهت المعركة بانتصار السلطان سنجر وأسر علاء الدين ثم أطلق سراحه والعفو عنه(٢).

أما المعركة الرئيسية في القضاء على السلاجقة -وتعتبر السبب الرئيسي- فكانت فتنة الغز التي برزت في مستهل عام(٣) ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م، ومن المعروف أن الغز كانوا يسكنون إقليم ما وراء النهر، ولما استولى الخطائيون على ما وراء النهر أخرجوهم منها وذهبوا إلى خراسان ومكثوا بالقرب من بلخ،

---

(١) د/ عبد النعيم حسنين: سلاجقة إيران والعراق ١١٨.

(٢) الراوندي: راحة الصدور ٢٦٦- ٢٦٧، النويري: نهاية الأرب ٢٦/ ٨٩.

(٣) البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق ٢٢٥، تاريخ طبرستان ٣٦٧، عباس إقبال: الوزارة في عهد السلاجقة ٢٠٧.

obeikandl.com

وحاول حاكم بلخ إبعادهم لكنهم أرشوه بالمال فعفا عنهم؛ وأقاموا في تلك النواحي، غير أن حاكم بلخ قماج عاود وطالبهم بالانتقال عن بلده فرفضوا؛ وعندئذ سار قماج إليهم ودارت المعركة بينهم، وتجلت عن هزيمة فاحشة لقماج وجيشه، فأثاروا الغز التخريب والقتل واستباحوا النساء وقتل الأطفال وتدمير وتخريب المدارس(١).

أما قماج ففر إلى مدينة مرو مقر السلطان، وأبلغه بخبر هذه الأحداث؛ فثار أمراء الدولة السلجوقية وجهزوا قوة من مائة ألف فارس، ثم اتجه السلطان على رأس هذا الجيش إلى ديار الغز(٢)؛ لهذا أرسل الغز رسلًا يعتذرون عما حدث ووقع منهم، وبذل كثيرًا ليكف عنهم، فرفض السلطان(٣)، ودارت الحرب وأسفرت عن هزيمة منكرة لجيش السلطان سنجر، وقتل قماج وأسر السلطان وجماعة من الأمراء(٤)، وضرب الغز أعناق الأمراء.

أما السلطان فقد التف الأمراء(٥) حوله وقبلوا الأرض بين يديه، وأظهروا له الطاعة وذهبوا إلى مدينة مرو، وطلبها منه الأمير بختيار إقطاعًا فرفض السلطان بشدة؛ لأنه يعتبرها سخرًا منهم(٦).

---

(١) ابن الوردي: تتمة المختصر في أخبار البشر ٢/ ٥٣، عبد النعيم حسنين: سلاجقة إيران والعراق ١٣٠- ١٣١، النويري: نهاية الأرب ٢٦/ ٣٨٦- ٣٨٧.

(٢) الراوندي: راحة الصدور ٢٧٠.

(٣) ابن الوردي: المصدر السابق ذكره ٢/ ٥٣.

(٤) السيوطي: تاريخ الخلفاء ٢٩١ القاهرة ١٣٩١هـ، ابن بيبي: أخبار سلاجقة الروم ٣٩٦، بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي ٤٨٠.

(٥) encyclopedia islam vol,vi p .619

(٦) ابن الوردي: تتمة المختصر في أخبار البشر ٢/ ٥٣.

ومع هزيمة وأسر السلطان قام الغز بنشر الفساد والفوضى في إقليم خراسان، بل أغاروا على مدينة مرو لمدة ثلاثة أيام، وأكثروا في أعمال السلب والنهب والقتل، واستولوا على مدخرات العظماء وأذاقوا الأهالي أنواع العذاب، وكانت مدينة مرو مكتظة بالذخائر والدفائن(١)، وقد نهب الغز الأشياء الذهبية والفضية والحريرية في اليوم الأول ثم الأشياء النحاسية والحديدية في اليوم الثاني، ثم الأشياء الرخيصة كالمراتب والأبواب والأخشاب، ولم يتركوا شيئًا تحت أو فوق الأرض إلا أخذوه في اليوم الثالث(٢).

ظل السلطان سنجر في الأسر لمدة ثلاث سنوات وبضعة أشهر إلى أن تمكن من الهرب عام ٥٥١هـ/ ١١٥٦م(٣) ودخوله مرو، فالتف الناس حوله وجلس على كرسي العرش، ثم اشتد الحزن والأسى عندما دخل داره فوجده يسوده الدمار والخراب، ومات حزنًا على ما حدث له في سنة ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م، ودفن في مقبرته التي أنشأها وسماها دار الآخرة(٤).

صفوة القول: إن معركة الغز كانت الضربة القاضية التي قضت على السلاجقة، وقد مكث سنجر في الحكم قرابة أربعين سنة، أي: بالتحديد من سنة ٥١٣هـ/ ١١١٩م إلى سنة ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م.

في أثناء وقوع سنجر أسيرًا عند الغز اجتمع أمراء خراسان، وقرروا

---

(١) حسين أمين: تاريخ العراق ١٥٦- ١٥٧، طه ندا: تاريخ الحكم التركي في إيران ٥٥، عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام ٢٨٨.

(٢) الراوندي: راحة الصدور ٢٧٢.

(٣) البنداري: المصدر السابق ذكره ٢٥٨، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٥/ ٢٩٢، الذهبي: العبر في خبر من غبر ٣/ ١٣.

(٤) الراوندي: المصدر السابق ذكره ٢٧٨.

obeikandl.com

استدعاء ابن أخت السلطان سنجر وهو الخان محمود بن محمد بن بغرخان، وعينوه نائبًا للسلطان سنجر وأقيمت الخطبة له على منابر خراسان[١]، وسلموه مقاليد الأمور سنة ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م، والتف أهل خراسان حول محمود بن بغرخان وساروا معه لمحاربة الغز، ودارت عدة حروب بين الطرفين، وانتصر الغز.

وفي عام ٥٥٠هـ/ ١١٥٥م سار الغز إلى مدينة مرو وقاموا بمصادرة أموال أهلها، بينما سار محمود إلى نيسابور فوجدها في قبضة أي آبه أحد مماليك السلطان سنجر الذي له الفضل في إحراز الانتصارات على الغز وطردهم من عدة أماكن منها أبيورد[٢] وطوس ونيسابور.

وفي سنة ٥٥٣هـ/ ١١٥٨م وقعت فتنة كبيرة بالمدينة بين رئيس الشافعية المؤيد ابن الحسين ونقيب العلويين أبي القاسم زيد بن الحسين، وأسفر عن قتل عدد كبير من أهل مرو، وأحرقت المدارس والمساجد والأسواق[٣]، وساد الخراب والدمار كافة أجزاء المدينة.

أما السلطان محمود فقد قتل على يد مؤيد الدين أي آبه سنة ٥٥٨هـ/ ١١٦٢[٤]؛ فانقسمت دولة السلاجقة بين ثلاثة ملوك، فكانت طوس ونيسابور وبيهق للسلطان أرسلان بن محمد بن ملكشاه السلجوقي، و جرجان ودهستان لألب أرسلان خوارزم شاه، وبلخ ومرو لحاكم تلك البلاد، ثم استولى الخوارزميون على مدينة مرو وخراسان بأكملها[٥]، وأصبحت مرو في

(١) عطا ملك الجويني: تاريخ جهانكشاي ١/ ٢٦٤.
(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ١١/ ١٨٣، عباس إقبال: الوزارة ٢٩١.
(٣) ابن كثير: البداية والنهاية ١٢/ ٢٣٧، عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام ٢٩١.
(٤) عباس إقبال: المرجع السابق ذكره ٢٩٢.
(٥) أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية ٣١٥، حافظ أحمد حمدي: الشرق الإسلامي قبل الغزو المغولي ٤٧.

obeikandl.com

حوزة الخوارزميين حتى وقعت في زمرة المغول، ودمروها وقتلوا جميع سكانها، ولم يبق من أهلها سوى بضع عشرات من الصناع وأرباب الحرف للاستفادة بهم، ثم قام المغول بتدمير المدينة عن آخرها وأصبحت صحراء جرداء، فلم يبق من هذه المدينة سوى أكوام أنقاض[١] وذلك عام ٦١٨هـ/ ١٢٢١م.

النظمُ الإداريةُ السلجوقيةُ في مدينةِ مرو

وضع السلاجقة نظمًا لدولتهم ووضعوا رسومًا؛ ليتخذوا وسيلة في إدارة الدولة، فكان السلاجقة يتصفون بالأمية ويبعدون كل البعد عن النظم والقوانين الإدارية، وعلى الرغم أن السلاجقة يتمتعون بنضج ومهارة رؤسائهم، إلا أنهم دائمًا في حاجة هامة إلى طبقة الكتاب ورجال الدواوين لاستخدامهم في المهام المختلفة والمحافظة على إمبراطوريتهم الواسعة[٢].

وكان هؤلاء الكتاب يخدمون قبل ذلك في دويلات السامانيين والغزنويين والديالمة والخلفاء مما اكتسبوا خبرة ودراية، فلما جاءت السلاجقة ورثت هذه الطبقات مع تعديل بعض المصطلحات والتغيرات البسيطة[٣].

وإذا فحصنا النظم الإدارية للسلاجقة

١ - السلطنة

ذكرت القواميس والمعاجم العربية أن كلمة سلطان بمعنى القهر، وقد ذكرت في كتاب الله العزيز: ﴿ **وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ** ﴾ [سبأ: الآية ٢١]

---

(١) رينيه غروسيه: جنكيزخان ٣٠٩.

(٢) سعاد ماهر: الفنون ١٢٧ القاهرة ١٩٨٦م، حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي ٥٤٧، عباس إقبال: الوزارة في عهد السلاجقة ٣٨.

(٣) د/ أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة في التاريخ والحضارة ٢٠٩، عبد النعيم حسنين: دولة السلاجقة ١٤٢- ١٤٤.

بينما ذكرت بعض المصادر القديمة أن سلطان مشتق من اللغة السريانية والآرامية (**Sultana**).

واستعملت كلمة سلطان كلقب لأول مرة في عهد الخليفة هارون الرشيد[١] حين سمى نفسه خالد بن برمك[٢] السلطان، ثم لقب به الغزنويون[٣]، واتخذه السلاجقة لقبًا لملوكهم[٤]، وبدأ هذا اللقب يتلاشى في عصر السلاجقة بلقب الحاكم الأعظم، وأصبح لقب الملك حاكم تابع[٥].

ونتيجة لبداوة السلاجقة تأثروا ووضعوا نظم الحكم التي طبقوها، فقد نظموا دولتهم طبقًا لطبيعتهم القبلية التي جعلت من الابن الأكبر الحق في تقلد القيادة[٦]، ولكن سرعان ما تغير هذا الإطار بتولي طغرلبك السلطنة رغم

---

(١) هو هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي أبو جعفر خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق وأشهرهم، ولد في الري ١٤٩هـ/ ٧٦٦م ومات ١٩٣هـ/ ٨٠٩م.
انظر المزيد في: البداية والنهاية ١٠/ ٢١٣، تاريخ اليعقوبي ٣/ ١٣٩، الذهب المسبوك ٤٧- ٥٨، الكامل ٦/ ٦٩، تاريخ الطبري ١٠/ ٤٧ و١١٠.

(٢) هو خالد بن برمك بن جاماس بن بشتاسف أبو البرامكة، وأول من تمكن منهم في دولة بني العباس، كان أبوه (برمك) من مجوس بلخ، وتقلد خالد قسمة الغنائم بين الجند في عسكر قحطبة بن شبيب بخراسان، وكان قحطبة يستشيره ويعمل برأيه، مات ١٦٣هـ/ ٧٨٠م.
انظر المزيد في: خزانة البغدادي ١/ ٥٤٢، مرآة الجنان ١/ ٣٣٤- ٣٥٢، ٤٠٧- ٤٢٥.

(٣) ويذكر نظام الملك: أن أول من استخدم لقب سلطان هم الغزنويون، وأن محمود بن سبكتكين أول حكام المسلمين الذي لقب بالسلطان. انظر: نظام الملك ست نامه ٥١.

(٤) الراوندي: راحة الصدور ١٥٩.

(٥) المقريزي: السلوك ٣٤- ٣٥.

(٦) ابن خلدون: العبر م٣ ٩٧٠، عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام ٤٥، الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية ٥٥، النويري: نهاية الأرب ٢٦/ ٣١٠.

obeikandl.com

صغر سنه عن أخيه جغري بك، إلا أن السلاجقة أجمعوا عل توليته السلطنة لما يتصف به من شجاعة نادرة(١).

ومن العجب أن اختيار السلطان طغرلبك اختُلف كل الاختلاف عن بقية السلاطين السلاجقة، ثم أصبحت السلطنة وراثية في عهد السلطان ألب أرسلان الذي تقلد ابنه بولاية العهد من بعده (ملكشاه)، ومنذ ذلك الحين بقيت السلطنة (السلاجقة) وراثية، وكان السلطان السلجوقي يتمتع بحقوق سياسية وعسكرية مطلقة، فهو الصاحب الأول في تنظيم الدولة وقيادة الجيوش وتعيين وفصل الحكام والقواد والقضاة والمحتسبين(٢).

ومن معالم تعيين السلطان السلجوقي سك النقود باسمه، وإقامة الخطبة له في سائر البلاد والمدن الواقعة في حوزته(٣)، كذلك اتخذ سلاطين السلاجقة عواصم خاصة بعيدة عن بغداد حاضرة الخلافة العباسية، فنجد السلطان سنجر جعل مدينة مرو حاضرة لمملكته(٤)، وأسس قصرًا في غاية الجمال والروعة؛ ليكون مقرًا للحكم.

وكانت قصور سلاطين السلاجقة يضرب بها المثل في الجمال، وكان الحراس يقفون على باب قصر السلطان مهيئون في حلل بهية، يبلغ عددهم عشرين غلامًا بيدهم السلاح الخاص المرصع، يحفون حول عرش السلطان

---

(١) الراوندي: راحة الصدور ٧٠- ١٧٤.

(٢) الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية ٥٥، النويري: نهاية الأرب ٢٦/ ٣١٠، عباس إقبال: المرجع السابق ذكره ٤٥.

(٣) حسين أمين: تاريخ العراق ٩٤- ٩٥، رينيه غروسيه: جنكيزخان ٣٠٨.

(٤) محمد محمود إدريس: رسوم السلاجقة ٦٤ - القاهرة ١٩٩٨م.

openkanal.com

ومهمتهم الاحتفاء بالرسل القادمين من الأطراف[١] فضلًا عن مائتي رجل مسلحين حسني المظهر والطول الفارع والرجولة والشجاعة لمرافقة السلطان وتوفير الراحة له، وكان لكل خمسين منهم نقيب يتولى شئونهم والإشراف عليهم وإسنادهم المهام المكلفين[٢] بها.

وكان السلاطين السلاجقة يفتحون باب السلطنة للمتظلمين حتى لا يكون السلطان في موقف الظالم لرعاياه[٣]، وكذلك وضع السلطان محكمة عليا لسماع المظالم[٤] وحسم المنازعات التي يعجز عن بحثها القضاء، وكان يرأس مجلس سماع المظالم السلطان أو مَن ينوب عنه[٥].

وللسلطان السلجوقي ملابس خاصة؛ منها رداء خاص عند لقائه بالناس يرتديه عند جلوسه على العرش، فنجد مثل السلطان ألب أرسلان كان يرتدي قلنسوة تبلغ طولها من أعلاها إلى طرف شاربه ذارعين[٦]، عكس السلطان سنجر فكان لا يتكلف في ملبسه؛ فقد لبس في معظم الأوقات ثوبًا زندنجيًّا أو عتابيًّا من الحرير غير المنقوش، وصديريًّا رقيقًا[٧].

أما شارات السلطنة السلجوقية فكانت عبارة الخيمة الحمراء الجهرمية[٨]

---

(١) نظام الملك: سياست نامه ١٣١.

(٢) الراوندي: راحة الصدور ٢١٢، نظام الملك: سياست نامه ١٥٩.

(٣) د/ عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية ٥٣.

(٤) الراوندي: راحة الصدور ٢١٢.

(٥) عطية مشرفة: القضاء في الإسلام ١٧٥- القاهرة ١٩٦٦م، إبراهيم أحمد العدوي: النظم الإسلامية ٢٩٥ مكتبة الأنجلو ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

(٦) الراوندي: المصدر السابق ذكره ٨٦.

(٧) الراوندي: المصدر السابق ذكره ٢٦٠، ياقوت الحموي: معجم البلدان ٣/ ١٥٤.

(٨) الراوندي: راحة الصدور ٢١٩.

obeikandi.com

والتخت والتاج والقباء والهودج[١] والخاتم والتوقيع[٢]، وكان توقيع السلطان سنجر (توكلت على الله، والخوان)[٣]، أيضًا كان للسلطان خزانة خاصة في دار السلطنة[٤]، وللسلاجقة عامة خزانتان: الخزانة الأصلية وخزانة الإنفاق[٥]، وكان بدار السلطنة رئيس الفراشمن وصاحب المظلة وصاحب الطشت[٦]، ومن هنا نجد أن السلطان يتمتع بحقوق سياسية وعسكرية ومالية مطلقة.

٢- ولي العهد

كان للسلاجقة نظام مختلف عن بقية النظم الإسلامية الأخرى، فكان السلطان السلجوقي يعين أكبر أبنائه وليًّا لعهده قبل مماته، وإن لم يكن للسلطان ابن فيولي أخاه وليًّا لعهده، وهناك صفات وشروط لولي العهد؛ منها: يتمتع بشخصية قوية، فضلا عن مكانة رفيعة بين أفراد البيت السلجوقي وتأييدهم وموافقتهم عليه سلطانًا، فضلًا عن موافقة الخليفة العباسي[٧]، وأول من ولى ابنه هو السلطان ألب أرسلان بعد مبايعته بالعهد من بعده[٨]، ثم سار سلاطين السلاجقة على هذا النهج.

---

(١) الراوندي: راحة الصدور ٢٢٠.

(٢) الراوندي: المصدر السابق ذكره ١٦٣.

(٣) البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق ١١٢.

(٤) أدي شير: الألفاظ الفارسية المعربة ٥٨ بيروت ١٩٨٠م.

(٥) الراوندي: المصدر السابق ذكره ٢٢٤.

(٦) نظام الملك: سياست نامه ٢٩٣.

(٧) د/ محمد عبد الحليم أبو النصر: السلاجقة تاريخهم السياسي والحربي ١٣٨ القاهرة ٢٠٠٣م.

(٨) ابن الجوزي: المنتظم ٨/ ٢٦٠، الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية ٧٤- ٧٥، الراوندي ٢١٥.

obeikandl.com

٣- نائب السلطان

عندما دب النزاع والانقسام بين دولة السلاجقة في عهد السلطان سنجر أدى تقسيمها إلى قسمين؛ ومن هنا ظهر منصب نائب السلطان، وأصبح سلاجقة خراسان ويمثلهم سنجر، وسلاجقة العراق ويمثلهم السلطان محمود(١)، وانفجرت الحرب بينهما وانتصر سنجر وأخذ بيعة الخليفة العباسي، ثم قام السلطان سنجر بمصالحة ابن أخيه فعينه وليًّا للعهد ونائبًا له في العراق، فكان محمود بن محمد بن ملكشاه أول من عين نائبًا للسلطان، وكان يلقب في نفس الوقت سلطانًا، بينما كان سنجر يحمل لقب السلطان الأعظم، ويلزم محمود بطاعته ولا يعمل إلا بمشورته(٢).

وتتأكد هذه التبعية حينما مات السلطان محمود فتوجه قادة السلاجقة إلى السلطان سنجر في مدينة مرو طالبين منه أن يختار للعراق سلطانًا، وبالفعل وقع اختيار سنجر على طغرل بن محمد بن ملكشاه، وهكذا أصبح نائب السلطان يُعين من قبل السلطان السلجوقي، وكان أيضًا نائب السلطان يشترك مع السلطان في بعض المراسم حيث يرتدي القباء المرصع بالجواهر، وله خيل خاص، بينما لا يسمح له بالخيمة الحمراء ولا يُدق له بوق في وقت الركوب أو النزول(٣).

---

(١) أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية ٣١٤، محمد أحمد النسوي: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ٦.

(٢) البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق ١٢٨- ١٢٩، عبد النعيم حسنين: سلاجقة إيران والعراق ١٠٩- ١١٠، دولة السلاجقة ١٣٨.

(٣) محمد محمود إدريس: رسوم السلاجقة ١٣٨.

openkanal.com

٤ - الوزير والوزارة

كانت الْوَزارة في العصر السلجوقي عبارة عن عدة إدارات، كل إدارة تختص بشأن من شئون الديوان وتعرف باسم الصدارة، والوَزارة هي أكبر الوظائف والمناصب الحكومية في السلطنة السلجوقية[١].

فالوزير يرأس جميع رجال الديوان ويشرف على جميع أعمال الدولة وأجهزة الحكم ويخضع له موظفوها، مما جعله يمسك بيده زمام الأمور في الدولة ويستطيع توجيه سياستها في الداخل والخارج، كما كانت تمتد سلطته إلى حكم الولايات وخاصة إذا كان قويًّا نافذ الكلمة[٢]، ويعتبر الوزير أيضًا المستشار الأول للسلطان وساعده الأيمن، ودائمًا يرافقه في رحلاته وترحاله[٣]، وربما لأهمية هذا المنصب فقد أصبح محطَّ أنظار الجميع، واشتدت حوله المنافسات[٤] والمؤامرات للفوز به.

وكان الوزير يتسم بأن يكون متدينًا، عالمًا، خبيرًا، حسن السيرة، عارفًا بقوانين الملوك، مسلحًا بتجارب العصور، مقرًّا لمصالح المسلمين، فإذا أراد الله بملك خيرًا قيض له وزيرًا صالحًا إن نسي ذَكَّرَه، وإن نوى أعانه، وإن أراد شكرًا كفله[٥].

---

(١) الصابئ: تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ٧ بغداد ١٩٥٨م، أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة في التاريخ والحضارة ٢٠٩.

(٢) عبد النعيم حسنين: سلاجقة إيران والعراق ١٥٨ - ١٥٩.

(٣) أحمد كمال الدين حلمي: المرجع السابق ذكره ٢٠٩.

(٤) أحمد كمال الدين حلمي: المرجع السابق ذكره ٢٠٩- ٢١٠، عبد النعيم حسنين: المرجع السابق ذكره ١٥٩ - ١٦٠.

(٥) عباس إقبال: الوزارة في عهد السلاجقة ٤٦ - ٤٧.

ومن أشهر الوزراء في عهد السلاجقة كيا مجير الدولة الذي ظل يشغل هذا المنصب إلى أن استولى عليه فخر الملك أبو الفتح بن نظام الملك[١]، وكان فخر الملك حريصًا على نشر العدل، ومحاربة الظلم، كما بذل جهودًا كبيرة؛ لتوفير مهمة العلم وطلابه، وتقوية أحكام الشريعة، وكان الوزير شرف الدين أبو طاهر بن سعد الدين القمي متدينًا، شديد الالتزام بأصول الدين[٢]، والوزير معين الدين أبو نصر بن أحمد الكاشي كان فاضلًا، لم يَسْعَ لهذا المنصب، وقد قبله تحت الضغط بعد محاولات كثيرة من السلطان سنجر[٣]، كذلك الوزير أبو القاسم محمود بن المظفر المروزي كثير الصلاة والصدقة[٤].

٥- الحجابة

وهي من أهم الوظائف الإدارية في الدولة السلجوقية، فقد استعمل سلاطين السلاجقة الحجاب بباب السلطنة (الدركاه)، وكان الحاجب بحكم عمله يشرف على سير الأمور في البلاط السلجوقي، وقد لقب بـ(حاجب بزرك) أي: (الحاجب الأعظم)[٥].

ومن أعماله تنظيم الاتصال بين السلطان والرعية، كما كان حلقة الوصل بين السلطان والوزير[٦] حيث كان يتلقى أوامر السلطان شفاهة ويبلغها للوزير، وعلى الوزير تنفيذها[٧]، وكان هذا المنصب محط أنظار الكثيرين؛ إذ

---

(١) عباس إقبال: المرجع السابق ذكره ٢٨٢.

(٢) خواندمير: دستور الوزراء ٢٧٥- ٢٧٦.

(٣) خواندمير: المصدر السابق ذكره ٢٧٩- ٢٨١.

(٤) عبد النعيم حسنين: سلاجقة إيران والعراق ١٦١، دولة السلاجقة ١٤١.

(٥) عباس إقبال: الوزارة ٤٤.

(٦) أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة في التاريخ والحضارة ٢١٢.

(٧) أحمد كمال الدين حلمي: المرجع السابق ذكره ٢١٢.

obeikandl.com

كان وسيلة سريعة للثراء والشهرة لمن يتولاها[١]، وكان السلطان[٢] يقوم بتعيين الحاجب وغالبًا يكون أحدًا من خواصه، وقد رفع السلطان سنجر علي الجتري الذي كان من ندمائه إلى منصب الحاجب[٣].

أيضًا كان للحاجب نائبٌ يساعده في إدارة أمور الدولة[٤] ويقوم بتنفيذ أوامره وتصريف أعماله[٥]، وكان عمل الحاجب يشبه عمل الأمين بقصر الحاكم في عصرنا[٦].

٦- الدواوين

كما قلت: الدواوين عبارة عن عدة إدارات، كل إدارة تتولى شأنًا من شئون الديوان، وقد اقتبس السلاجقة من الدولة الغزنوية[٧] عدة دواوين؛ ديوان الاستيفاء وديوان الإشراف وديوان الطغراء وديوان عرض الجيش، وكل ديوان بمثابة ما نطلق عليه الآن وزارة يرأسها وزير يساعده عدد من الموظفين المهرة[٨].

أ-ديوان الاستيفاء: هذا الديوان يختص بالشئون المالية[٩]، ويطلق على

(١) الراوندي: راحة الصدور ٢٧٦.
(٢) محمد محمود إدريس: رسوم السلاجقة ٩٣.
(٣) محمد محمود إدريس: المرجع السابق ذكره ٩٣.
(٤) الراوندي: راحة الصدور ٢٥٩.
(٥) حسين أمين: تاريخ العراق ١٨٣- ١٨٤.
(٦) عبد النعيم حسنين: دولة السلاجقة ١٤١.
(٧) عباس إقبال: الوزارة ٤٣.
(٨) عبد النعيم حسنين: سلاجقة إيران والعراق ١٦٤.
(٩) أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة في التاريخ والحضارة ٢٠٩- ٢١٠.

obeikandl.com

رئيسه والقائم بإدارته باسم (المستوفي) وتلي مرتبته مرتبة الوزير[١]، ومهمة هذا الديوان تنظيم إيرادات الدولة ومصروفاتها، وكذلك الإشراف على الضرائب والأموال الخاصة بالدولة، وهو من أهم دواوين السلاجقة في أوقات السلام والحرب[٢].

وكان السلطان يختار صاحب هذا الديوان من ذوي الخبرة في الشئون المالية، وله سمعة حسنة وطيبة، كما يتسم بأن يكون ملمًّا بأسرار المعاملات ودقائق الحسابات، ويكون قلمه حكم عدل وصادق[٣].

وأشهر من تقلد هذا الديوان ناصر خسرو[٤] الذي كان يخدم في البلاط السلجوقي، فأسندت إليه وظيفة رئاسة ديوان الاستيفاء في مدينة مرو في عهد جغري بك[٥].

وللمستوفي نواب أو وكلاء في كل ولاية من ولايات السلطنة السلجوقية، مهمتهم ضبط أوراق الدخل والمنصرف، وكذلك مراقبة الخراج والضرائب، وإرسال تقارير إلى الديوان (الاستيفاء).

وذكرت لنا المصادر بأن جاء في منشور استيفاء زين الدين أبي العلاء صاعد بن الحسين المستوفي فيما يتعلق بعمله في مدينة مرو، ونحن نوكل إليه استيفاء كل خطة مرو، مدنها وقراها، فيما يتعلق بالأموال والأملاك والزيادات، ننبيه عنا في استيفاء ما يخص الحضرة من خراج، عام ثلاث

(١) عبد النعيم حسنين: دولة السلاجقة ١٤٦، عباس إقبال: المرجع السابق ذكره ٥٠.
(٢) عباس إقبال: الوزارة ٥٠.
(٣) عباس إقبال: المرجع السابق ذكره ٥٠.
(٤) عباس إقبال: المرجع السابق ٥١.
(٥) أحمد كمال الدين حلمي: المرجع السابق ٢١٠.

obeikandl.com

وأربعين وأربعمائة، ونصرح له بإنجاز ما عهدنا به إليه بكامل حريته ووفق آماله العريضة، على أن يتبع في تنظيم الحسابات وضبطها الطرق الخاصة قديمها وحديثها، ويرسل نائبًا حكيمًا إلى شتى الأنحاء لضبط الخراج[١]، وهؤلاء الموظفون يشتهرون بالصدق والأمانة[٢].

وفي عهد سنجر يتم تحصيل الأموال وترسل إلى ديوان الاستيفاء في مدينة مرو، وأشهر من تولى المستوفي في عصر سنجر (معين الدين الخوارزمي)[٣].

ب-**ديوان الإشراف**: كانت مهمة الديوان ضبط الحسابات والإشراف عليها والمقارنة بين الصادرات والواردات، وهو النصف الثاني لديوان الاستيفاء في إدارة أموال الديوان[٤]، وكان صاحبه المشرف الذي يرسل نوابه وأتباعه إلى كل ولايات الدولة السلجوقية حتى يمكن القيام بعمله على أحسن وجه، وتسجيل المعاملات المالية في دقة تامة بالديوان لإجراء المحاسبة[٥].

ج-**ديوان الطغراء والرسائل**: الطغراء كلمة تركية بمعنى الخط المقوس الذي يُوضع في صدر الأوامر والمنشورات والفرمانات، كما هو معروف لعلامة كل سلطان، بالنسبة للفظ (بسم الله)، وكان يعهد إليه برسم هذا الخط المقوس، ويسمى باللغة العربية (طغراني) وباللغة الفارسية (طغراكش)[٦].

---

(١) منتخب الدين الجويني: عتبة الكتبة ٤٨- طهران ١٣٢٩هـ.

(٢) محمد محمود إدريس: السلطان سنجر ١١٤ - القاهرة ١٩٨٨م.

(٣) عباس إقبال: الوزارة ٥٢، شوقي ضيف: عصر الدول والإمارات ٥٨٢- دار المعارف- القاهرة ١٩٨٢م.

(٤) البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق ٦٢- ٦٣، أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة في التاريخ والحضارة ٢١٠- ٢١١.

(٥) حسين أمين: تاريخ العراق ١٩٩، البنداري: المصدر السابق ٦٢.

(٦) محمد محمود إدريس: السلطان سنجر ١١٤- ١١٥.

obeikandl.com

ويطلق على رئيس هذا الديوان اسم الطغراني، وكان التعامل مع السلطان والوزير مباشرة؛ لأنه هو المسئول الأول بتوصيل الرسائل والفرمانات والمنشورات إلى السلطان، فهو الذي يصدر عنه الأوامر الموقعة بتوقيعه والمخاتمة والمذيلة بشعاره، وكان أيضًا يتسلم مهام الوزير وينوب عنه إذا خرج مع السلطان للصيد أو الحرب(١).

د-**ديوان الإنشاء والرسائل**: وهو تابع لديوان الطغراء، وكان يرأسه شخص يعرف بالرئيس أو الوزير أو صاحب ديوان الرسائل، وهو في الحقيقة رئيس الديوان للإنشاء السلطاني، يأتمر بأمره عدد كبير من الموظفين والمحررين المنشئين الذين كانوا ينعمون بثقة الدولة ويحفظون ويكتمون أسرارها(٢)، فهم بحق نظام الأمور وكمال الملك وبهاء السلطان والألسنة الناطقة عن الملوك وخزان أموالهم وأمناؤها على رعيتهم وبلادهم(٣).

أيضًا كان ديوان الرسائل والإنشاء يشرف على جميع المكاتبات الرسمية والمراسيم التي يصدرها السلطان إلى الولاة والحكام وغيرهم، وكذلك يعهد ويسند إليه بتنظيم علاقة الدولة في الخارج والداخل(٤)، وكان من الواجب عليه أن يحضر المجالس التي كان يعقدها السلطان لسماع المظالم، ويقوم بأداء الرأي وكتابة أهم النقاط والملاحظات(٥).

وكان من صفات صاحب هذا الديوان الكفاءة والسرية والذكاء والفطنة

---

(١) أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة في التاريخ والحضارة ٢١٠.

(٢) أحمد كمال الدين حلمي: المرجع السابق ذكره ٢١٠، عباس إقبال: الوزارة ٥٢- ٥٣.

(٣) يحيي الخشاب: التقاء الحضارتين العربية والفارسية ١٩- ٢٠ القاهرة ١٩٧٠م.

(٤) عبد النعيم حسنين: سلاجقة إيران والعراق ١٦٤.

(٥) ابن مماتي: قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريال-مدبولي القاهرة ١٩٩٤م.

والحذر[١]، وأن يكون بارعًا باللغة والأدب والفلسفة والتاريخ والجغرافيا وعلوم الدين من فقه وتفسير وحديث، عارفًا بالثقافتين العربية والفارسية[٢]، ومن أشهر من أُسند إليه هذا الديوان نصير الدين أبو القاسم محمود بن أبي تربة المروزي من الكتاب المهرة ومن العلماء والأدباء، تقلد هذا الديوان في عهد السلطان سنجر ثم تقلد الوزارة سنة ٥٢١هـ/ ١١٢٧م[٣].

أيضًا من أفضل وأحسن من تقلد هذا الديوان في العصر السلجوقي منتخب الدين الجويني كاتب الرسائل في عهد سنجر، وقد سجل عددًا كبيرًا من الرسائل والأوامر السلطانية في كتابه (كتبة الكتبة)[٤].

هـ-ديوان عرض الجيش: يعرف هذا الديوان في وقتنا بوزارة الحربية؛ لأنه يختص بشئون الجند وما يتعلق بالناحية العسكرية[٥]، ويحتوي هذا الديوان على أسماء الجند ورواتبهم وتسليحهم وتجهيزهم للحرب، وتنظيم تغذيتهم وتفقد مظهر المجندين ورجال الجيش[٦].

يطلق على صاحب هذا الديوان اسم العارض؛ لأنه يقوم بعرض الجيش على السلطان؛ ليعرف مدى كفاءته وقدرته على الخروج للقتال[٧]، وكان للعارض نائب يقيم معظم وقته في الحضرة ويقود دفة إدارة هذا الديوان في حالة

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى ١/ ٤٣- ٤٤ دار الكتب المصرية-القاهرة ١٩٦٣م.

(٢) أحمد أمين: ضحى الإسلام ١/ ١٨٧- ١٨٩ النهضة المصرية القاهرة ١٩٦٦م.

(٣) عباس إقبال: الوزارة ٣٨٥.

(٤) عبد النعيم حسنين: سلاجقة إيران والعراق ١٦٤- ١٦٥، دولة السلاجقة ١٤٧.

(٥) أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة ٢١١، حسين أمين: المرجع السابق ٢٠٥، عباس إقبال: الوزارة في عهد السلاجقة ٥٧.

(٦) أحمد كمال الدين حلمي: المرجع السابق ٢١١.

(٧) عباس إقبال: المرجع السابق ذكره ٥٧.

غيابه؛ لأن العارض دائمًا يمكث في المعسكرات الهامة[١]، وقد ارتفع شأن هذا الديوان لكثرة الحروب التي قام بها سلاطين السلاجقة في أوقات قوتهم وضعفهم فلم يمر عصر من عصور سلاطينهم إلا وبه حروب ومنازعات[٢].

ولكل ديوان نائب عنه يتولى منصب صاحبه في أثناء غيابه، وحوله عدد من كبار الكتاب والموظفين من ذوي السمعة الحسنة وسَعَة الثقافة وجمال الخط[٣].

أيضًا بالإضافة إلى الدواوين السابقة وجدت عدة مناصب ووظائف هامة يقوم السلطان بتعيينهم نذكر منهم:

٧- وكيلدار السلطان

وهو أعلى منزلة من الحاجب[٤]؛ لأن صاحبه يكون دائمًا ظلًا وملتصقًا بالسلطان؛ ليعرف أخلاقه ومزاجه وطبائعه ويدرك ما يرضيه وما يرفضه ويغضب منه؛ حتى لا يحدثه في أمر دون اختيار الوقت المناسب للإفصاح عنه[٥].

ومن شروط هذا المنصب أن يكون قوي الحجة، بليغًا بعيد النظر؛ وذلك لإقناع السلطان، وكان يقيم في القصر السلجوقي، ويأخذ راتبه من السلطان، وكان يُسمى في بلاد الفرس والعجم وكيلدار، أي: بمعنى وكيل الباب[٦].

---

(١) عباس إقبال: المرجع السابق ذكره ٥٧.

(٢) عبد النعيم حسنين: دولة السلاجقة ٤٧.

(٣) نظام الملك: سياست نامه ٢٠٣- ٢٠٦، أحمد كمال الدين حلمي: المرجع السابق ذكره ٢١١.

(٤) البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق ٩١، أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة في التاريخ والحضارة ٢١٢.

(٥) حسين أمين: تاريخ العراق ١٨٦، أحمد كمال الدين حلمي: المرجع السابق ذكره ٢١٢.

(٦) محمد عبد العظيم أبو النصر: السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري ٢٧٨.

obeikandl.com

٨- العميد

ابتكر السلاجقة هذه الوظيفة، وكان يتقلد من قبل السلطان، وهي عبارة عن وظيفة إدارية، وقد لقب صاحب هذه الوظيفة بعميد العراق[١]؛ لأنه يتمتع بسلطان أوسع وأكبر من سلطات الشحنة، فالعميد يشرف على العراق كلها بينما صاحب الشحنة يشرف على مدينة بغداد فقط، وعليهما[٢] حفظ الأمن، وبمعنى آخر يعتبر العميد نائبًا عن السلطان السلجوقي بمنطقة العراق وبغداد[٣].

ومهمة العميد مراقبة دواوين الدولة وعمل الإصلاحات الإنشائية ومراقبة الخليفة العباسي وحاشيته.

ومن أشهر من تقلد هذه الوظيفة: أبو العباس الخوافي الذي تولى منصب العميد من قبل السلطان ألب أرسلان سنة ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م، وأصبح عميدًا للعراق لمدة ثماني سنوات حتى تركها[٤].

٩- الشحنة

أيضًا من الوظائف التي ابتكرها السلاجقة وهو ما يعرف الآن بالمحافظ، فهو يقوم بإدارة المدينة والمحافظة على الاستقرار والأمن بها، ويتمتع بسلطات بوليسية وإدارية واسعة[٥].

---

(١) محمد عبد العظيم أبو النصر: المرجع السابق ذكره ٢٩٦.

(٢) أحمد كمال الدين حلمي: المرجع السابق ذكره ٢١٣.

(٣) ابن خلدون: العبر ٣/ ٤٨٣.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ١٠/ ٢٥٨، محمد عبد العظيم أبو النصر: السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري ٣٠٠.

(٥) الأزدي: تاريخ الدول المنقطعة ٣٠٢، حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي ٥٨٧.

openkandil.com

ويجب على من يتقلد هذه الوظيفة أن يكون ملمًّا وعالمًا بأمور الدين، أمينًا دقيقًا في تقصي التحريات[١] الصغيرة والكبيرة؛ حتى يستطيع المحافظة على أمن واستقرار المدينة، وكان لكل مدينة شحنة يتولى إدارتها، وقد تولى شحنة مرو الأمير قودن سنة ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م، وهو من مماليك السلطان ملكشاه[٢].

١٠- الاسفهسالار

كان يلقب على كل من يتقلد قيادة الجيش في العصر السلجوقي بالاسفهسالار[٣]، ومع مطلع العصر السلجوقي كانت القيادة في يد الأسرة السلجوقية، ثم أسندت بعد ذلك للوزراء والقواد الذين منحوا هذا اللقب (الاسفهسالار)، وكان يتقلد من قبل السلطان، ويتميز بالكفاءة العسكرية والصراحة والحزم والقوة، وممن تولى هذا المنصب قماج والي بلخ[٤].

١١- صاحب الشرطة

وهو من أهم المناصب والوظائف الإدارية في هذه الدولة، حيث تتركز وظيفته في الإشراف على الجند الذين يحافظون على النظام ويبذلون كل ما لديهم من طاقة وجهدٍ لاستتباب الأمن[٥].

---

(١) أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة ٢١٣.

(٢) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ٣٣٥- ٣٣٦، السبكي: طبقات الشافعية ٤/ ٣٢٥، عباس إقبال: تاريخ إيران ٢٥٩.

(٣) حسين أمين: تاريخ العراق ٢٠٥.

(٤) محمد عبد العظيم أبو النصر: السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري ٣٠٥، أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة في التاريخ والحضارة ٢١٣.

(٥) ابن الوردي: تتمة المختصر ٢/ ٥٣، عبد النعيم حسنين ١٣٠- ١٣١.

obeikandl.com

وقد نقلت هذه الوظيفة من العباسيين الذين يختارون صاحب الشرطة من كبار القوم ومن أهل العصبية والقوة[١]، وكان عمل الشرطة قديمًا إقامة الحدود وتنفيذ أحكام الجرائم[٢]، ثم اتسع نطاق عمل رجال الشرطة ليقوموا بالإشراف على أمور الدولة.

١٢- المحتسب

من أكثر الوظائف الإدارية أهمية، ويتفق الفقهاء والعلماء في معنى المحتسب بأنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٣]، هذا ما أشار إليه كتاب الله العزيز: ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ** ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقد اتسعت مهام واختصاصات المحتسب معظمها يتعلق بالدين والناس؛ منها: المحافظة على صلاة الجماعة وأداء الزكاة ومراقبة آداب السلوك والأخلاق العامة[٤]، أيضًا الإشراف على الجوامع والمساجد ونظافتها، كذلك حضور وتفقد مجالس الوعاظ فلا يدع الرجال يختلطون بالنساء، ويحضر المآتم والمقابر، فإذا سمع نائحة عزرها ومنعها[٥].

ومن اختصاصات المحتسب أيضًا: منع الحمالين وأهل السفن من الإكثار في الحمل، وكذلك الحكم على أهل المباني المتداعية للسقوط بهدمها وإزالتها،

(١) القلقشندي: صبح الأعشى ٥/ ٤٥٠.

(٢) عطية مشرفة: القضاء في الإسلام ١٦٦- القاهرة ١٩٦٢م.

(٣) الماوردي: الأحكام السلطانية ٢٧٠، ابن تيمية: الحسبة في الإسلام ٦- القاهرة ١٤٠٠هـ.

(٤) ابن الإخوة: معالم القرية في أحكام الحسبة ١٢- ٢٤- القاهرة ١٩٧٦م، عطية مشرفة: القضاء في الإسلام ١٨٣.

(٥) ابن بسام: نهاية الرتبة في طلب الحسبة ٢١١- ٢١٥ بغداد ١٩٦٨م، الشيرازي: نهاية الرتبة في طلب الحسبة ١٠٩- ١١٠ القاهرة ١٩٦٣م.

وإزالة بروز مصاطب الحوانيت في الأسواق، وإماطة الأذى عن الطريق[١].

أيضًا من اختصاصاته: الإشراف على الأسواق ومراقبة الموازين والمكاييل، وتحديد الأسعار وضبط عملية البيع والشراء؛ لمنع عملية الغش، كذلك أيضًا الإشراف على البضائع وبيعها في الأسواق لمنع الاحتكار[٢]، وكذلك مراقبة أصحاب الحرف على اختلاف أنماطهم كالخياطين والصباغين والحاكة والخبازين والصيادلة والأطباء وغيرهم[٣].

وللمحتسب أعوان في المدن الواقعة في حوزة الدولة السلجوقية؛ لتسهيل مساعدته في القيام بأعماله[٤].

ولخطورة أهمية منصب المحتسب فلا بد أن يكون فقيهًا عالمًا بالأحكام الشرعية، حسن النية، صادقًا عدلًا، مواظبًا للفرائض والواجبات، كريم الخلق لين القول، طلق الوجه، عفيفًا[٥]، وهو دعم من دعائم الاستقرار والعدالة والأمن حيث نال حظي السلاجقة.

١٣- قاضي القضاة

هي وظيفة دينية هدفها الفصل بين المتنازعين حسب ما ورد في الشريعة الإسلامية[٦]، والقضاء بمعنى القطع؛ لقول الله تعالى: ﴿ **فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ** ﴾ [طه: ٧٢].

---

(١) إبراهيم أحمد العدوي: النظم الإسلامية ٢٩٨ القاهرة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

(٢) إبراهيم الدسوقي الشهاوي: الحسبة في الإسلام ٨٣- القاهرة ١٩٦٢م.

(٣) ابن بسام: المصدر السابق ذكره ١٨- ١٩، الشيرازي: المصدر السابق ٢٢- ٩٧.

(٤) ابن الإخوة: معالم القرية ٢٨، الشيرازي: نهاية الرتبة ٨- ٩.

(٥) ابن بسام: نهاية الرتبة في طلب الحسبة ١٠- ١٥، الشيرازي: المصدر السابق ذكره ٦- ٩.

(٦) ابن تيمية: الحسبة في الإسلام ٦- ٣٤، إبراهيم الدسوقي الشهاوي ٧٢.

ومن اختصاصات قاضي القضاة الفصل في الأوقاف والدعاوى والنفقات وتنصيب الأوصياء، وفي بعض الأوقات تضاف إليه الشرطة والحسبة والمظالم وبيت المال ودار السكة[١]، وكان هناك شروط في من يتقلد هذه الوظيفة: أن يكون حرًّا بليغًا عاقلًا مسلمًا، عادلًا، سليم الحواس، عالمًا بالأحكام الشرعية، عارفًا بأسرار التشريع[٢].

وفي الواقع أن السلاطين السلاجقة سيطروا على السلطة القضائية سيطرة كاملة، فقاموا بتعيين قاضي القضاة دون النظر إلى الخليفة العباسي في ذلك، حيث أسندوا هذه الوظيفة لعائلة الداغوني[٣]، وظلت تتوارث هذه المهنة مدة ثم خلعوا ثم عادوا، وكان للسلاجقة هدف من وراء ذلك ضمان استمرار ولاء تلك العائلة لهم والتصدي لأي مقاومة ضدهم[٤].

ومن أشهر من تولى منصب قاضي القضاة أبو عبد الله الدمغاني ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م، وظل في هذا المنصب حتى مات سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م[٥]، وأبو بكر بن أبي المظفر السمعاني الشافعي المروزي الذي تقلد منصب قاضي القضاة بعد وفاة أبي عبد الله الدمغاني، بناءً على ترشيح نظام الملك سنة (٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م إلى سنة ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)[٦] ثم عادت الأسرة الدمغانية لتولي هذه الوظيفة.

---

(١) عطية مشرفة: القضاء في الإسلام ١٦٦.

(٢) عطية مشرفة: القضاء في الإسلام ١٥٨- ١٥٩.

(٣) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد ٣٦٥- ٣٦٦.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم ١٥/ ٣٤٧، عبد العظيم أبو النصر: السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري ٣٢٨.

(٥) السبكي: طبقات الشافعية ٣/ ٨٧- ٨٨.

(٦) الحسيني: طبقات الشافعية ١٩٧- ١٩٨.

والنقطة الملفتة للنظر أن هذه الوظيفة ارتبطت بتاريخ كل سلطان وكل وزير، ففي عهد وزارة الكندي نصير الحنفية كان قد عين أبو عبد الله الدمغاني في منصب قاضي القضاة؛ لأنه حنفي المذهب، بينما عين نظام الملك الشافعي أبا بكر محمد بن أبي المظفر المروزي الشافعي[١].

كان لقاضي القضاة امتيازات كبيرة في العصر السلجوقي؛ فمنها: أنه نائبٌ عن السلطان في المهام القضائية[٢]، كما كان من حقه تعيين القضاة لكل مدينة من مدن الدولة السلجوقية[٣]، وقد حظي القضاة باحترام سلاطين السلاجقة وأعطيتهم[٤].

ومن أشهر هؤلاء القضاة في مدينة مرو القاضي الحسين بن محمد بن أحمد أبو علي المروزي[٥] شيخ الشافعية في عصره وأحد أصحاب الوجوه، تتلمذ على أبي بكر القفال[٦]، مات سنة ٤٦٢هـ/ ١٠٦٩م.

١٤- الطشت دار

صاحب هذه الوظيفة يقوم بصب ماء الغسيل للسلطان وتجهيز الحمام له، وهو قريب من السلطان[٧].

---

(١) السبكي: المصدر السابق ذكره ٣/ ٨٨.
(٢) نظام الملك: سياست نامه ٧٣.
(٣) عطية مشرفة: القضاء في الإسلام ١٦٠.
(٤) الراوندي: راحة الصدور ٤٤١.
(٥) الراوندي: المصدر السابق ٤٤١.
(٦) ابن العماد: شذرات الذهب ٣/ ٣١٠.
(٧) حسين أمين: تاريخ العراق ٢٠٥.

obeikandl.com

١٥- الساقي

وهو الذي يقوم بالإشراف على عمل ومد الأسمطة وكل ما يتعلق بتقديم المأكولات والمشروبات للسلطان وضيوفه[١].

١٦- الجاشنكير

وهو الذي يتولى تذوق أصناف الطعام والشراب المختلفة قبل أن يأكل منها السلطان، خشية من أن يكون هذا الطعام والشراب مسمومًا[٢].

١٧- أمير الحرس

من الوظائف الهامة؛ حيث يوجد لكل إقليم من أقاليم الدولة السلجوقية أمير أو ملك، ولكل منهم حرس وأتباع يرأسهم شخص يسمى أمير الحرس[٣]، كان يقيم بجوار باب السلطان مع الحاجب الكبير، يتولى الطبل والعلم والنوبة ويكون بجواره خمسون رجلًا من أصحاب المخاصر (الرمح والمرزاق) وعشرون بدبابيس ذهبية وعشرون معهم بدبابيس فضية، وعشرة بدبابيس ضخمة، ينفذون ما يأمر به السلطان في مجلس السلطنة[٤].

وقد أخذ شأن أمير الحرس مكانة عظيمة، فهو يقوم بالإشراف على حرس الأبواب وأصحاب النوبة وعلى الحرس الخاص بالسلطان والحريم والاستفسار عن أحوالهم للاطمئنان على حماية وسلامة السلطان[٥].

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى ٥/ ٥٦٩، حسين أمين: تاريخ العراق ٢٠٣.

(٢) محمد محمود إدريس: السلطان سنجر ١١٧.

(٣) عبد النعيم حسنين: سلاجقة إيران والعراق ١٦٦، دولة السلاجقة ١٤٨.

(٤) عبد العظيم أبو النصر: السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري ٣١٣.

(٥) نظام الملك: سياست نامه ١٧٧.

obeikandl.com

١٨ - صاحب البريد

وهو الإشراف على البريد[١] في جميع أنحاء الأراضي السلجوقية ومراقبة الرعية والتجسس عليهم، ثم نقل الأخبار مباشرًا للسلطان، فكان عمال البريد عبارة عن[٢] عيون وجواسيس للسلطان والوزير، ينقلون إليهم كل شيء فيحيطان علمًا بما يجري في أنحاء الدولة[٣]، ويعتبر عملهم عمل رجال المخابرات في الوقت الحالي من حيث مراقبة تصرفات العمال والرعية[٤].

ثم سرعان ما وقع الخلاف والصدام بين السلطان ألب أرسلان ووزيره[٥] نظام الملك حول إلغاء هذه الوظيفة فقال: (إن الدنيا لا تخلو، كل بلد فيها من أصدقاء لنا وأعداء، فإذا نقل إلينا صاحب الخبر وكان له غرض أفرج الصديق في صورة العدو، والعدو في صورة الصديق، وحينئذ تختل الأمور اختلالًا يصعب تلافيه) فأمر السلطان بإلغاء هذا الديوان مما أدى إلى قطع الأخبار بين السلطان السلجوقي وعماله في الأقاليم، مما أدى إلى علو شأن الطائفة الإسماعيلية، وأصبحت خطرًا على كيان السلطة السلجوقية[٦].

صفوة القول: وضع السلاجقة نظامًا إداريًّا قويًّا تمكنوا من خلاله إدارة إمبراطورية شاسعة الأراضي، معتمدين على عدد من الوزراء المهرة والكتاب وعمال كانوا يخدمون قبل ذلك في البلاط السامانيين والغزنويين وعند الخلفاء العباسيين، ويتميزون بدراية فائقة وبراعة في إنجاز الأعمال على أحسن وجه؛ مما أطال في عمر هذه الدولة.

---

(١) د/ إبراهيم أحمد العدوي: النظم الإسلامية ٢٣٨.
(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي ١٧.
(٣) ابن الصابئ: تاريخ الوزراء ٢٤٢ بيروت ١٩٠٤م.
(٤) د/ عبد النعيم حسنين: دولة السلاجقة ١٤٠.
(٥) كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب العربية ٢٨٠، ترجمة نبيه أمين ومنير البعلبكي-بيروت ١٩٨٨م.
(٦) البنداري: تاريخ دول آل سلجوق ٦٨، إبراهيم أحمد العدوي: النظم الإسلامية ٢٣٧.